ألفاظ النصر والتمكين في القرآن الكريم
– دراسة دلالية –

الدكتور
عبدالوهاب محمدعلي العدواني
وعماد عبد يحيى
كلية الآداب – جامعة الموصل

إنّ النصر الذي وعد الله المؤمنين به ليس سهلا ، بيد أنّه يتحقق للذين يستحقونه بإخلاصهم لعقيدتهم وثباتهم عليها وجهادهم في سبيلها . فثمرة هذا الجهاد الطويل كما بيّن القرآن نصر من الله وفتح قريب (١) ، وتمكين في الأرض واستخلاف لمن ثبت على البأساء والضرّاء (٢) ، ويقابل هذا خذلان وانتكاس لأهل الباطل في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وقد تضافرت الفاظ عديدة في القرآن الكريم لتدل على أنّ النصر والتمكين للمؤمنين في الحياة الدنيا مترتبان على ما يبذله المؤمنون في سبيل عقيدتهم ، وهذا الأمر يجعلنا نعد هذه الألفاظ مستعملة للدلالة على الثواب الدنيوي في

---

* فصل مستل من رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الموصل ١٤٠٧ – ١٩٨٧م

(١) تنظر : الصف – ١٣ .

(٢) تنظر : النور – ٥٥ .

جانب من جوانبه . ويأتي جذر : (ن ، ص ، ر) في مقدمة المواد اللغوية في هذه المجموعة من الألفاظ .

ولهذا الجذر في اللغة دلالات حسية تلقي ظلالها على الاستعمال القرآني، ومن ذلك : نَصر المَطرُ أو الغَيْثُ الأرض : سقاها وغاثها ، ونُصِرَتِ الأرضُ : إذا مُطِرَت (١) . وسُمّيَ المطر نَصراً ، كما سُمّيَ : فَتْحاً، وقيل : ومدت الوادي النواصر : وهي المسايل التي تأتي بالماء من بعيد (٢) . والنّصر أيضاً : الرزق (٣) ، أو العطاء (٤) . وحكي أنّ سائلا وقف على قوم ، فقال : انصروني ، نصركم الله ، يريد : اعطوني ، أعطاكم الله (٥). وهو مستعار من نصر الأرض (٦) . والنصر : التأييد (٧) والعون (٨) .

ومما لاشك فيه أنّ العلاقة واضحة بين المعنى الحسي والدلالة المعنوية للنصر ، وقد أدرك العربي عمق هذه العلاقة لأنه يعرف أهمية الغيث في حياته الصحراوية الظامئة الصعبة .

والنصر — كما بيّن القرآن الكريم — يكون دنيوياً وأخروياً ، فقد قال الله — سبحانه وتعالى — : (مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ ينصرَهُ الله في الدنيا والآخرة فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السماء، ثُمَّ لْيَقْطَعْ، فَلْيَنْظُرْ هل يُذْهِبَنَّ كيدُهُ ما يَغيظُ) (٩)، ويكون النصر في الدنيا بإعلاء كلمة الله وإظهار دينه ،

(١) الأفعال : ٢٦٣ // الصحاح : ٨٢٩/٢ // المفردات : ٤٩٥ .
(٢) أساس البلاغة : ٦٣٥ ، وينظر : القاموس المحيط : ١٤٨/٢ .
(٣) الأفعال : ٢٦٣ .
(٤) الصحاح : ٨٢٩/٢ .
(٥) أساس البلاغة : ٦٣٥ .
(٦) المفردات : ٤٩٥ .
(٧) الأفعال : ٢٦٣ .
(٨) المفردات : ٤٩٥ // القاموس المحيط : ١٤٨/٢ .
(٩) الحج — ١٥ .

ويكون في الآخرة بإعلاء الدرجة والمنزلة في الجنة (١) ، قال — تعالى — : (إنا لَنَنْصرُ رُسُلنا والذين آمنوا في الحياة الدّنيا وَيَوْمَ يقومُ الأشهادُ (٢)، والنصر في الدنيا قد يكون بالحجة وبأخذ الظالمين (٣) ، ولهذا اللفظ في القرآن الكريم أربعة وجوه (٤) :

الأول : النصر بمعنى : المنع ، قال — تعالى — : (ولا يُؤْخذُ منها عَدْلٌ ولا هُمْ يُنْصَرونَ) (٥)،ويعني : ولا هُم يمنعون من العذاب ، ويقابل ذلك إثبات النصرة للمؤمنين ، وهي النجاة من العذاب كما مر بنا في عرضنا المبسوط لألفاظ النجاة (٦) .

الثاني : النصر بمعنى : العون ،ومن ذلك قوله — تعالى —: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) (٧) فنصرة العبد لله «هو نصرته لعباده والقيام بحفظ حدوده ورعاية عهوده واعتناق احكامه واجتناب (مناهيه) (٨) ، ويترتب على هذا الجهد من العبد نصر الله وهو عونه لعبده ، وكذلك قوله : (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) (٩).وذهب أبو هلال العسكري إلى أنّ هناك فرقاً بين النصرة والإعانة ،وذلك «أنّ النصرة لا تكون إلا على المنازع المغالب والخصم المناوىء المشاغب ، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره ، يقول : أعانه على من غالبه ، ونازعه ، ونصر عليه ، واعانه على فقره : إذا

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/٢٣—١٦ .
(٢) المؤمن — ٥١ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٧٦/٢٧// الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٢/١٥ .
(٤) الأشباه والنظائر : ٢٣٩—٢٤١ .
(٥) البقرة — ٤٨ .
(٦) تنظر : الص ٣١٥ .
(٧) محمد — ٧ .
(٨) المفردات : ٤٩٥ .
(٩) الحج — ٤٠ .

اعطاه ما يعينه ، وأعانه على الأحمال ، ولا يقال : نصره على ذلك ، فالإعانة عامة والنصرة خاصة» (١) .

وهذا الفرق الدلالي ليس مُطرداً ، فقد ورد النصر بمعنى : طلب العطاء ، ولكن يمكن القول : إنّ القرآن خصص دلالة النصر في استعماله بأن تكون على الخصم ، وهذا التخصيص يجعل اللفظ منصرفاً إلى عون الله للعبد وتقويته على الجهاد (٢) ، ومما لا شك فيه أنّ النصر — هنا — غير مقيد بالغلبة الظاهرة «لأن المغلوب إذا كان مستحقاً للثواب فهو المنصور والغالب إذا كان من اهل العقاب ، فهو مخذول غير منصور» (٣) ، «والغلبة على المؤمن لا تخرجه عن كونه المنصور لأنّه المحمود العاقبة» (٤) .

الوجه الثالث : النصر بمعنى : الظفر ، وذلك قوله : (وما النَّصرُ إلاّ مِنْ عِندِ اللهِ) (٥) ، وقد خص القرآن النصر بأنه من عند الله لكي يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين وعدهم الله بإمدادهم بها (٦) .

والوجه الرابع : النصر بمعنى : الانتقام ، وذلك قوله : (ولَوْ شاءَ اللهُ لانتَصرَ منهُمْ) (٧) .

— وقد يعبر القرآن عن النصر «بالروح» كما في قوله :(أولئك كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ وأَيدهُمْ بروح منهُ) (٨) ، فالروح «ههنا هو : النصر والغلبة والإظهار والدولة،وقد يعبر عن ذلك بالريح. والروح والريح كلاهما

---

(١) الفروق اللغوية : ١٥٦ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير :٤١/٢٣ ، ٤٩/٢٨ .
(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٣٨٩ .
(٤) م.ن : ٢٧٣ ، وينظر : ص٣٣٥ .
(٥) آل عمران — ١٢٦ .
(٦) ينظر : التفسير الكبير : ٢١٦/٨ .
(٧) محمد— ٤ .
(٨) المجادلة — ٢٢ .

يرجعان إلى معنى واحد ، وقال — سبحانه — : (ولا تنازَعوا فتَفْشَلوا وتَذهبَ ريحُكُمْ) (١) أي : دولتكم واستظهاركم» (٢)

وقد عبر القرآن الكريم عن النصر والغنيمة ايضاً بلفظ

— الحسنة : وقد عبر بها عن كل ما يسر من نعمة ، تنالُ الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة ضدها (٣) ، ومن ذلك قوله : (وإنْ تُصبهُم حَسَنَةٌ يقولوا هذه من عند الله وإنْ تُصبْهُمْ سَيِّئة يقولوا هذه مِنْ عِنْدكَ.) (٤) وقوله :

(ما أصابَكَ مِنْ حَسنة فَمِنَ الله وما اصابك منْ سيئة فَمنْ نفسك) (٥)

فالحسنة هنا تعني : النصر والغنيمة ، يوم بدر ، والسيئة تعني : القتل والهزيمة يوم أحد وهو تفسير اسماعيل بن عبدالرحمن السدي (٦) ومقاتل (٧) والذي يرجح تخصيص دلالة اللفظ هنا بالنصر هو السياق ، لأنه يتحدث عن القتال في سبيل الله (٨) .

وقد خص لفظ «الحسنة» بدلالة معينة في كل سياق ورد فيه ، فمن ذلك : الرخاء والخصب (٩) في قوله — تعالى — : (ثُمَّ بدَّلْنا مَكَان السيئةِ الحسَنَة) (١٠) ، والذكر الطيب والثناء الجميل (١١) في قوله — تعالى — :

---

(١) الأنفال — ٤٦ .
(٢) تلخيص البيان : ٢٤٤ .
(٣) المفردات : ١١٨ .
(٤) النساء : ٧٨ .
(٥) النساء — ٧٩ .
(٦) التصاريف : ١٢٥ .
(٧) الأشباه والنظائر : ١٠٨-١٠٩ .
(٨) تنظر : النساء — ٧١ — ٧٩ .
(٩) تفسير مجاهد : ٢٤٠ //الا شباه والنظائر : ١٠٩-١١٠ .
(١٠) الأعراف — ٩٥ .
(١١) أمالي الزجاجي : ٢ .

(وأتيناهُ في الدُّنْيا حسنةً) (١) ، إلى غير ذلك من الدلالات كالنبوة ولسان الصدق واجتماع الملل على ولايته ، والصلاة عليه ، والأولاد الأبرار على الكبر (٢) .

وقد يستعمل القرآن لفظ :

— الفرقان : للدلالة على النصر أو ماله علاقة التزامية به . الفَرْقُ في اللغة : «يقارب الفَلْق ، لكنّ الفَلْق يُقال اعتباراً بالانشقاق والفَرْق يقال اعتباراً بالانفصال» (٣) . والفَرْق ، مصدر فَرَقت الشعر (٤) . والمِفْرِقُ والمَفْرَقُ : وسط الرأس ، . وكذلك : مَفْرِقُ الطريق ومَفْرَقَه ، للموضع الذي يتشعب منه طريق آخر (٥). والفَرْقُ أنْ تفرق بين الحق والباطل فَرْقاً وفُرْقاناً (٦) . والفَرَقُ بالتحريك : الخوف ، والفَرقُ ايضاً تباعد مابين الثنيتين ، ... وفي الخيل: إشراف إحدى الوركين على الأخرى...والفِرْقُ : (٧) الفِلْقُ من الشيء إذا انفلق ، ومنه قوله — تعالى — : (فانْفَلَقَ فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطّودِ العظيمِ) (٨) .

والفرقان : القرآن ، وكل ما فرّق به بين الحق والباطل ، فهو فرقان (٩) .

وأوجه الفرقان في القرآن ثلاثة (١٠) :

---

(١) النحل — ١٢٢ .
(٢) ينظر : أمالي المرتضى : ١/١٦٠ //زاد المسير : ٤/٥٠٤ .
(٣) المفردات : ٣٧٧ .
(٤) إصلاح المنطق : ٧ ، ٤٥ ، ٢٧٧ .
(٥) الصحاح : ٤/١٥٤١
(٦) إصلاح المنطق : ٤٥ ، ٢٣٧ .
(٧) الصحاح : ٤/١٥٣١—١٥٤٢ .
(٨) الشعراء — ٦٣ .
(٩) الصحاح : ٤/١٥٤١ .
(١٠) ينظر : التصاريف : ١٣٩—١٤٠// منتخب قرة العيون النواظر : ١٨٥ .

الأول : النصر وذلك قوله: (وإذْ آتينا مُوسى الكتابَ والفُرْقان) (١)يعني: النصر ، فرق الله بين الحق والباطل ، فنصر موسى وأهلك عدوه .

الثاني : المخرج ، وذلك قوله: (وَبَيِّناتٍ منَ الهُدى والفُرقان) (٢) ، يعني :المخرج في الدين من الشبهة والضلالة .

الثالث : القرآن ، وذلك قوله : (تَبارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرْقانَ) (٣) .

اما قوله – عز وجل – : (يا أيها الذين آمنوا إنْ تتقُوا الله يجعَل لكم فُرقاناً) (٤) فقد اختلف أهل اللغة والتفسير في تحديد دلالته ، فقالوا :

. المخرج ، وهو قول مجاهد .

. النجاة ، وهو قول ابن عباس وعكرمة وابن زيد والسدي .

. الفصل بين الحق والباطل ، وهو قول ابن اسحاق (٥) .

. الفتح والنصر وهو قول الفرّاء (٦) .

. النور والتوفيق على قلوب المؤمنين ، يفرق بين الحق والباطل ، فكان الفرقان كالسكينة والروح في غيره ، وهو قول الراغب (٧) .

. النصر ، لأنّه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله وهو قول الزمخشري (٨) .

---

(١) البقرة – ٥٣ .
(٢) البقرة – ١٨٥ .
(٣) الفرقان – ١ .
(٤) الأنفال – ٢٩ .
(٥) جامع البيان : ١٤٨/٩//الجامع لأحكام القرآن : ٣٩٦/٧.
(٦) معاني القرآن : ٤٠٨/١ ، وإينظر الجامع لاحكام القرآن : ٣٩٦/٧ .
(٧) المفردات : ٣٧٨ ، وينظر : إغاثة اللهفان : ١٨٣/٢هـ.
(٨) الكشاف : ١٥٤/٢.

والبادي لنا : أنّ الفرقان جعل جزاء مترتباً على التقوى كما جعل تكفير السيئات والمغفرة ، ولفظ «فرقان» مطلق يمكن أنْ يحمل على جميع الفروق الحاصلة بين المؤمنين والكفار في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك : أنّ الله يخص المسلمين بالعلو والفتح والنصر والظفر في الدنيا ، وبالثواب والمنافع الدائمة في الآخرة (١).

ومن الألفاظ التي اقترنت بالنصر لفظ :

— يؤيد : والتأييد في اللغة ، هو التقوية ، يقال : آدَ الرجل يَئيد أَيْداً : اشتَدّ وقَوِيَ . قال العجاج (٢)

مِنْ أنْ تَبَدّلْتُ بِآدي آدا ... لَمْ يَكُ يَنْآد فأمسى آنْآدا

يعني : بشبابي قوة المشيب .

وقال الأعشى (٣) :

قَطَعْتُ إذا خَبَّ رَيْعانُها ... بِعِرْفاء تَنْهَضُ في آدِها

ورجل أَيّد أي : قَوِّي (٤) .

ومن الدلالات الحسية لجذر (أ ، ي ، د) : الإيادُ : وهو تراب يجعل هو الحوض أو الخباء ، يقوّى به ، أو يمنع ماء المطر . قال ذو الرمة يصف الظليم (٥) :

ذَعَرْناهُ عَنْ بيضٍ حِسانٍ بأجْرَعٍ ... حَوى حَولَها مِنْ تُربهِ بإيادِ

---

(١) ينظر التفسير الكبير : ١٥/١٥٣-١٥٤ .

(٢) لم أجده في ديوانه الذي حققه عزة حسن
وورد في : اصلاح المنطق : ٩٠//الصحاح : ٢/٤٤٣

(٣) ديوانه : القصيدة : ٨ ، البيت : ٢٧ ، ص٧١ ، وينظر : إصلاح المنطق : ٩٤ .

(٤) الصحاح : ٢/٤٤٣ // أساس البلاغة : ٢٦ .

(٥) ديوان شعر ذي الرمة : تح / كارليل : القصيدة : ١٨ ، البيت : ١٦ ، ص٤١
وينظر : الصحاح : ٢/٤٤٣ ، وفيه : دفعناه .

وسئل عبدالله بن عباس عن قوله — تعالى — : (والله يؤيدُ بنصره مَنْ يشاءُ) (١) ، فقال : يقوي ، ونبه على أنّ العرب تعرف ذلك واستشهد بقول حسان بن ثابت (٢) :

بِرِجالٍ لَسْتُم أَمْثالَهُم أُيِدُّوا جِبْرِيَل نَصْراً فَنَزَلْ

والتّأييد من الله — عز وجل — يكون بضروب من الالطاف : كإمداد المؤمنين بالملائكة ، أو بأن يخطر ببالهم ما أعدّ لهم من نعيم الجَنّة ، فتقوى بذلك أنفسهم ، أو بأن يلقي الخوف في قلوب اعدائهم ، فيكون ذلك سبباً لتمكينهم (٣) .

والملاحظ أنّ هذه المادة قد استعملت في سياق الحديث عن النصر والجهاد في خمس سور مدنية (٤) ، وجاءت بالصيغة الماضية ، لأنها في سياق التذكير بألطاف الله في حوادث معينة ، كقوله — تعالى — : (فأنْزَل اللهُ سكينَتَهُ عليْه وأيّده بجنود لَمْ تَروها) (٥) ، ما عدا قوله — تعالى — : (واللهُ يُؤيّدُ بنصره منْ يَشاء) (٦) .

فقد جاءت فيه بصيغة المضارع ، لأن مقصود هذه الآية هو بيان حقيقة ، أنّ النصر والظفر من الله ، ومما لاشك فيه أن بناء الفعل المضارع في العربية

---

(١) آل عمران — ١٣ .
(٢) ديوانه : القصيدة : ١١ ، البيت : ١٢ ، ص٦٧ ، وينظر : سؤالات نافع بن الأزرق في الإتقان : ١٢٢/١ .
(٣) حقائق التأويل : ٤٧/٥ //متشابه القرآن : ١٤٢/١ ، ١٥٧ ، ١٥٨// البحر المحيط ٣٩٦/٢ .
(٤) تنظر : الأنفال — ٢٦—٦٢ // آل عمران — ١٣ // المجادلة —٢٢ // الصف — ١٤ التوبة — ٤٠ .
(٥) التوبة — ٤٠ .
(٦) آل عمران — ١٣ .

يفيد الحدوث والتجدد والاستمرار (١) مما يشير إلى أنّ التأييد من الله للمؤمنين ملازم لحالة الجهاد مادامت قائمة .

ويلاحظ — كذلك — أنها جاءت بصيغة « فعّل » . الدالة على الكثرة والقوة الشديدة (٢) .

إنّ تأييد الله المؤمنين بالنصر كان مسبوقاً بفضل آخر في الدنيا ذلكم هو — الإيواء : فقال — سبحانه — (واذْكروا إذْ أَنْتُم قَليل مُسْتَضْعَفونَ في الأرض تَخافونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ الناسُ فَآواكُمْ وأَيدكمْ بنصره) (٣). والمأوى : كل مكان يأوي اليه شيء ليلا أو نهاراً (٤) . وفيه معنى : الجمع والضم (٥) ، فقوله — تعالى — : (فآواكم) يعني : ضمكم إلى المدينة (٦). وذكر مقاتل ويحيى بن سلام وجهاً آخر للفظ ، وهو الانتهاء إلى الشيء (٧) كقوله — تعالى — : (فأووا إلى الكهف) (٨) .

ومما اقترن بالنصر ايضاً مادة :

— ثبت : والثبات في اللغة ضد الزوال ، يقال : يَثْبتُ الشيء ثَباتاً وثُبوتاً، وأَثْبَتَهُ غيره وثَبّتهُ ، بمعنى واحد (٩) ، والمُثْبَتُ هو الذي قد ثقل

---

(١) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٣٣// مهدي المخزومي ، في النحو العربي : ٤١ / ابراهيم السامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته : ٢٠٤—٢٠٥// العربية بين أمسها وحاضرها : ١١٠/ الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية : ٣٤٣ // فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية ٩ .

(٢) المفردات : ٣٠ .

(٣) الأنفال — ٢٦ .

(٤) الصحاح : ٦/٢٢٧٤ .

(٥) م.ن : الصفحة نفسها ، وينظر : المفردات : ٣٤ //الجامع لأحكام القرآن: ٧/٣٩٤.

(٦) الأشباه والنظائر : ٢٨٩ // التصاريف : ٣٣١ .

(٧) م.ن : الصفحة نفسها التصاريف : ٣٣١ .

(٨) الكهف — ١٦ .

(٩) الصحاح : ١/٢٤٥ // المفردات : ٧٨ .

وأثبت فلا يبرح الفراش (١) . ويقال : أثبته السُّقم إذا لم يفارقه (٢) .

والثَّبْتُ والتَّثْبيتُ : هو الفارس الذي لا يُصْرَع ،ولم يزلّ في خصام او قتال ، قال العجاج (٣) :

وَمِنْ قُرَيْشٍ كُلُّ مَشْبوبٍ أَعَزّْ مُعاوِدُ الإقدامِ قدْ كرَّ وكَرْ
في الغمَراتِ بَعْدَ ما فرَّ وفر ثَبْتٍ إذا ما صيح بالقومِ وَقَر

ومن الدلالات الحسية لجذر (ث ، ب ، ت) الثِباتُ وهو سير يُشَدُّ به الرحْلُ والمُثْبَتُ هو الرحل المشدود به (٤) .

ويستشف من هذه الدلالات معنى : القوة ، (٥) وهذا المعنى يلمح في استعمال القرآن الكريم لهذه المادة ؛ ومن ذلك قوله — تعالى — : (إذْ يُغَشّيكُمُ النُّعاسُ أَمَنَةً منه ويُنزِّلُ عليكم منَ السماء ماءً ليطهرَكُمْ به ويُذهبَ عنكمُ رِجْزَ الشيطان وَليربطَ على قلوبكُم ويُثبتَ به الأقدام. إذْ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم فثبتوا الذين آمنوا سَأُلقي في قُلوبِ الذينَ كَفَروا الرعبَ فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كُلَّ بَنان) (٦) ، وتثبيت الأقدام مترتب على قوة القلوب في جهاد العدو ، ولا يتم ذلك إلا حينما يكون الثبات على الدين (٧) ، وعلى هذا «يكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب » (٨) . وهي على حد قول استاذنا

---

(١) تهذيب الألفاظ : ١١١ .
(٢) الصحاح : ١/٢٤٥ .
(٣) ديوانه : القصيدة : الأولى ، البيت : ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،ص٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ نفسها ، وينظر : تهذيب الألفاظ : ١٧٥ // الصحاح : ١/٢٤٥// أساس البلاغة : ٦٩
(٤) القاموس المحيط : ١/١٥٠ .
(٥) المفردات : ٧٨ .
(٦) الأنفال —١١—١٣ .
(٧) ينظر : جامع البيان : ٢/٣٩٦ //زاد المسير : ١/٢٩٩ ، ٤٧٣ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن : ٧/٣٧٧ .

محيي الدين توفيق: «كناية عن الصمود في وجه الأعداء والصبر على مقارعتهم والانتصار عليهم» (١) . وفيما يتعلق بسياق النص فقد لمح استاذنا كاصد الزيدي ملمحاً لطيفاً في نعمة الماء المنزل الذي له منفعة مادية متمثلة بتطهير الأجسام . ومنفعة معنوية تتمثل في الربط على القلوب وتثبيت الأقدام، فأشار إلى أنهما «عنصران نفسيان لأنهما يقترنان بالطمأنينة والثقة النفسيتين ، ولاسيما أنَّ المسلمين كانوا في مجال حرب، وهم بأشد الحاجة إلى ما يثبتهم، ويقوي معنوياتهم ، بعد أنْ عدموا الماء لنزولهم في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام» (٢) .

وأما تثبيت الملائكة للمؤمنين فهو بُشْرَى لهم بالنصر ،أو قتال معهم ، أو حضور بهيئة الرجال يمدونهم بالنصر ، وفي ذلك كله قوة للمسلمين (٣) .

ويلاحظ أيضاً أن لفظ :

– يربط : كان مستعملا في الآيات التي تتحدث عن النصر والجهاد .

ولجذر (ر ، ب ، ط) في اللغة دلالات حسية ، منها :

رَبَطْتُ الشيء أَربِطُهُ ، وأَرْبُطُهُ ، : شددته ، والموضع مَرْبَط ومَرْبِطٌ .... ويقال : نعم الربيّط هذا ، لما يرتبط من الخيل ...والرباط ما تشد به القربة والدابة وغيرهما والجمع رُبُطٌ . قال الأخطل (٤) :

تموتُ طَوراً وتحيا في أَسِرَّتِها كما تُقَلَّبُ في الرُّبْطِ المَراويدُ

وفيهم رباط الخيل : حبسها واقتناؤها ، قال الشاعر (٥) :

---

(١) المصطلح اللغوي في القرآن الكريم ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد السابع والثلاثون ، بغداد ١٩٨٦ ، ص١٧ .
(٢) الطبيعة في القرآن الكريم : ٧٧ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٣٤/١٥ //الجامع لأحكام القرآن : ٣٧٨/٧ .
(٤) ديوانه : القصيدة : ٢٥ ، البيت : ٤١ ، ص ١٥٠، وينظر: الصحاح : ١١٢٧/٣
(٥) أساس البلاغة : ٢١٦ .

فينا رباطُ جياد الخيلِ مُعْلَمَةً وفي كُلَيب رِباطُ اللُّؤْمِ والعارِ

وأعدوا رباط الخيل وهي ما يرتبط منها ، ومن التطور الدلالي للمادة : رابط الجيش : اقام في الثغر ، والأصل ان يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم ، ثم سميت الإقامة في الثغر مرابطة ورباطاً ، والغزاة في مرابطهم ومرابطاتهم ، وهي مواضع المرابطة ، ووقف ماله على المرابطة ، وهي الجماعة التي رابطت (١) . ويلاحظ أنَّ هذه الدلالات وجدت بعد الإسلام وتوسع الفتوح ، واستقرار الفاتحين في الثغور .

ومن الدلالات الحسية للمادة — ايضاً — قولهم : ترابط الماء في مكان كذا ، إذا لم يخرج من مجتمعه وركد فيه ، ومنه ماء مترابط ؛ قال الشاعر يصف سحاباً (٢) :

تَرى الماءَ منهُ مُلْتَقٍ مُتَرابِطٌ وَمُنْجَرِدٌ ضاقت بهِ الأرضُ سائحُ

واستعملت هذه المادة في القرآن الكريم خمس مرات ، وجاءت مقترنة بالقلب ثلاث مرات ، وذلك في قوله — تعالى — : (إنْ كادَت لَتُبْدي به لولا أَنْ رَبَطنا على قَلبِها لتكونَ منَ المؤمنين) (٣) . وهذا لطف من الله إذْ ألهمها الصبر كما يربط الشيء المتفلت ليستقر ويطمئن (٤) . وقوله : (ورَبَطنا على قُلوبهم إذْ قاموا ، فقالوا : رَبُّنا رَبُّ السمواتِ والأرضِ لَنْ ندعوَ منْ دونهَ إلهاً لقد قُلنا إذاً شططاً) (٥). والربط هنا «عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها الله لهم ... ولما كان الفزع والخور يشبه بالتناسب

---

(١) أساس البلاغة : ٢١٦–٢١٧ .
(٢) م.ن : ٢١٧ .
(٣) القصص — ١٠ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣٠/٢٤ .
(٥) الكهف — ١٤ .

الانحلال ، حسن في شدة النفس وقوة التصميم أنْ يشبه الربط» (١) . وقوله (وليربِطَ على قلوبكم ،ويُثبت به الأقدام) (٢) ، المراد : ان بسبب نزول هذا المطر قويت قلوبهم ، وزال الخوف والفزع عنهم ، ويقال لكل من صبر على امر : ربط قلبه عليه ، كأنه حبس قلبه عن أن يضطرب» (٣) . والقى استعمال حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء ظلّه على دلالة اللفظ (٤). فكأنّ المعنى : «أن القلوب أمتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها» (٥) .

وَأمّا قوله — تعالى — : (ياأيُّها الّذينَ آمَنوا اصْبِروا وصَابِروا وَرابطوا) ، (٦) «فمعناه عند الجمهور : رابطوا أعداءكم الخيل ، أي : ارتبطوها ، كما يرتبطها أعداؤكم » (٧) . وكذلك — قوله — تعالى — : (وَأَعِدّوا لَهُمْ مااسْتَطَعْتُمْ منْ قُوّةٍ وَمنْ رِباطِ الخَيْلِ) (٨) ، وذكر الراغب أن المرابطة ضربان:

١ً: مرابطة في ثغور المسلمين وهي كمرابطة النفس البدن فإنّها كمن أقيم في ثغر وفوّض إليه مراعاته ، فيحتاج أن يراعيه غير مخل به وذلك كالمجاهدة قال — عليه السلام — :(منَ الرِّباطِ انتظارُ الصّلاة) (٩) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٠/٣٩٥ .
(٢) الأنفال— ١١ .
(٣) التفسير الكبير : ١٥/١٣٤ .
(٤) ينظر : الجنى الداني : ٤٤٤ // مغني اللبيب : ١/١٤٣ .
(٥) التفسير الكبير : ١٥/١٣٤ .
(٦) آل عمران —٢٠٠ .
(٧) جواهر الحسان : ١/٣٤٤ .
(٨) الأنفال — ٦٠ .
(٩) ينظر : الموطأ : الحديث : ٢٣٣ ، ص١٣٧ ، وفيه:«... انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» .

٢ً : ومرابطة بمعنى : قوة القلب ، قال — تعالى — : (وَرَبَطْنا على قُلوبِهِمْ) (١) وبنحو هذا قيل : فلان رابط الجأش. (٢)

وقد عبّر القرآن عن الربط بلفظ آخر هو :

— الختم : وذلك في قوله — تعالى — : (فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ) ، (٣) أي : يحفظه ويربطه، (٤) قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لايشق عليك قولهم : إنّه مفتر كذّاب. (٥) وهذا المعنى فيه صلة بالدلالة اللغوية للمادة ،إذ الختم ضد الفتح (٦) . وهو التغطية والاستيثاق من أَنْ لايدخله شيء ، (٧) وفي ذلك حفظ للقلب من أي مداخلة تشق عليه .

ومن أَلْطاف الله — سبحانه وتعالى — وتأييده للمؤمنين في الدنيا إمدادهم بالملائكة : وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم :

— (فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ). (٨)

— (إِذْ تَقولُ لِلْمُؤْمِنينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الملائكَةِ مُنْزَلينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِروا وَتَتَّقوا وَيَأْتوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ

(١) الكهف — ١٤ .
(٢) المفردات : ١٨٦ .
(٣) الشورى — ٢٤ .
(٤) منتخب قرة العيون النواظر : ١٠٥ .
(٥) التفسير الكبير : ١٦٧/٢٧ .
(٦) الصحاح : ١٩٠٨/٥ .
(٧) المصطلح اللغوي في القرآن الكريم ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد السابع والثلاثون ، بغداد ١٩٨٦ ، ص١٣ .
(٨) الأنفال — ٩ .

منَ المَلائكَةِ مُسَوِّمين) (١) ونلحظ أنّ الإمداد بالملائكة مترتب على الصبر والتقوى ، وثمة فرق في دلالة هذه المادة اللغوية، فإذا كانت من : مدّ النهر ، فالفعل لازم بمعنى: زاد أو طما ، أو زخر ، وأمّا الذي يتعدى كقولهم : مَدَّهُ نَهْرٌ آخر وأَمْدَدْتُ الجيشَ بمَدَد فمعناه : كَثَّرَ غيره وقوّاه ووصله، كقول العجاج : (٢)

* ماءُ قَرِيٍّ مَدَّهُ قَرِيُّ *

وأكثر ماجاء الإمداد في المحبوب كما في الآيات السابقة ، والمَدُّ في المكروه ،(٣) كقوله – تعالى – : (كَلاّ سَنَكْتُبُ مايَقولُ وَنَمْدُّ لَهُ منَ العَذابِ مَدّاً) (٤) .

والمدّ في القرآن على خمسة أوجه ، (٥) وذكر يحيى بن سلام ستة: (٦) فما كان من الرباعي جاء بمعنى : العطاء، كقوله – تعالى – : (وَيُمْدِدْكُمْ بأَمْوال وَبَنين) ، (٧) وكالآيات التي جاء فيها ذكر الإمداد بالملائكة . وقد جعَل لها يحيى بن سلام وجهاً آخر ، بمعنى : التقوية . (٨) وما جاء من الثلاثي فيأتي يَمُدُّهم ، بمعنى : يَلِجُهمْ كقوله – تعالى – :

---

(١) آل عمران –١٢٤–١٢٥ .
(٢) ديوانه : القصيدة : ٢٥ ، البيت : ٦١ ، ص٣١٨ ، ١ وينظر : تصحيح الفصيح : ٣١٢/١ هاشم طه شلا ش ، معجم الأفعال المتعدية اللازمة ، القسم السابع ، مجلة المورد المجلد الثالث عشر ، العدد الثاني ، بغداد ١٩٨٤ ،ص ٥٧ .
(٣) المفردات : ٤٦٥// بصائر ذوي التمييز : ٤٨٩/٤ .
(٤) مريم – ٧٩ .
(٥) ينظر : الأشباه والنظائر : ٢١٩–٢٢١ .
(٦) ينظر : التصاريف ٢٧٠–٢٧١ .
(٧) نوح – ١٣ .
(٨) التصاريف : ٢٧٠ .

(وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيانِهِمْ) ، (١) أو بمعنى المد الذي لا انقطاع له ، كقوله : (وَظِلٍّ مَمْدود)، (٢) أو البسط كقوله : (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) ، (٣) أو مدّت يعني : سَوّيت كقوله : (وإذا الأرضُ مُدَّتْ) (٤) وإذا كان إمداد المؤمنين بالملائكة بشرى لهم كما أنه يلقي الاطمئنان في قلوبهم. فمن هنا يعدّ:

— الاطمئنان : من ألطاف الله بالمؤمنين في الدنيا فقد قال — سبحانه — (وَما جَعَلَهُ اللهُ إلاّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلوبُكُمْ بِهِ) . (٥) وأصل الاطمئنان من قولهم : أَرض مطمئنّة ومتطامنة ، أي : منخفضة . واطمأنّ بالمكان ،ووتّد الله الأرض بالجبال فأطمأنت. (٦) واطمأنّ الرجل اطمئناناً وطمأنينة ، أي : سكن (٧) بعد انزعاج . (٨) وهذا المعنى هو وجه من الأوجه التي وردت في القرآن الكريم لهذه المادة ، فقوله : (ولتطمئن قلوبكم به) يعني : ولتسكن به قلوبكم. (٩)

وللمادة وجهان آخران هما :

— الرضا : كقوله — تعالى — : (فَإنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ) (١٠) أي رضي به .

---

(١) البقرة :—١٥ .
(٢) الواقعة — ٣٠ .
(٣) الفرقان — ٤٥ .
(٤) الانشقاق — ٣ .
(٥) آل عمران — ١٢٦ .
(٦) أساس البلاغة : ٣٩٦ .
(٧) الصحاح : ٢١٥٨/٦ .
(٨) المفردات : ٣٠٧ .
(٩) الأشباه والنظائر : ١٢٢/١ .
(١٠) الحج —١١ .

ـ والإقامة ، كقوله : (فإذا اطْمَأْنَنْتُمْ) ، (١) يعني فإذا أقمتم(٢)

ومن ألطاف الله بالمؤمنين حينما يصيبهم الفزع أن ينزل عليهم : السكينة ، والسكينة ،والسكون في اللغة: الاستقرار والثبات بعد تحرك، يقال : سَكَنَ الشيء سكونا: استقرّ وثبت ، وسكّنه غيره تسكيناً. (٣) والمَسْكنُ والمَسْكَنُ (٤) المنزل والبيت . (٥) والسَّكَنُ : ماسكنت إليه. (٦) قال الله ـ عز وجل ـ (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً) (٧) ، والسَكَنُ أيضاً : النّار (٨) قال الراجز (٩)

* أقامَها بسَكَنٍ وَأَدْهانْ *

أي : ثقّفها بالنار والدهن . وقال: (١٠)

ألجأني الليلُ وريح بلّه إلى سواد إبل وَثُلّه(١١)

وَسَكَنٍ توقَدُ في مِظَلّهْ

وسميت النار بذلك ، لأنّها يسكن بها وهذا مجاز. (١٢)

والسَّكْنُ : أَهْلُ الدار ، قال ذو الرمة : (١٣)

فَيا أَكْرَمَ السَّكْنِ الذين تَحَمّلوا عَنِ الدارِ والمُسْتَخْلَفِ المُتَبَدَّلِ

ومن المجاز قولك : «هي السكينة في الوقارِ». (١٤) وقد فرّق أبو هلال

---

(١) النساء ـ ١٠٣ .
(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ، : ١٢٢ـ١٢٣// التصاريف : ٢١٧ـ٢١٨ // كشف السرائر : ١٥٧ .
(٣) الصحاح : ٢١٣٦/٥ .
(٤) إصلاح المنطق : ١٢١ ، ٢٢٠ .
(٥) الصحاح : ٢١٣٦/٥ .
(٦) إصلاح المنطق : ٥٥ // الصحاح : ٢١٣٧/٥ .
(٧) الانعام ـ ١٦
(٨) الصحاح : ٢١٣٦/٥
(٩) إصلاح المنطق: ٥٥ ،وينظر: مقاييس اللغة : ٨٨/٣ ، وفيه : قد قومت بسكن وأدهان
(١٠) م.ن : ٥٥ـ٥٦ // الصحاح : ٢١٣٦/٥ ، وفيه : الجأها .
(١١) ينظر : المفردات : ٢٣٧ .
(١٢) ينظر : أساس البلاغة : ٣٠٤ .
(١٣) ديوان شعر ذي الرمة : تح / كارليل : القصيدة : ٦٧ ، البيت ، ٢١ ،ص ٥٠٦ ، وينظر : الصحاح : ٢١٣٦/٥ ، وفيه : فياكرم :
(١٤) إصلاح المنطق : ١٨٠ ، وينظر : أساس البلاغة : ٣٠٤ .

العسكري بين السكينة والوقار، فقال: «إنّ الوقار هو الهدوء وسكون الأطراف وقلّة الحركة في المجلس، ويقع — أيضاً — على مفارقة الطيش عند الغضب مأخوذ من الوقر: وهو الحمل، والسكينة: مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر ماجاء في الخوف ألا ترى إلى قوله — تعالى — : (فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عليه)، (١) وقال: (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسولِهِ وَعَلَى المُؤْمنينَ) (٢)، ويضاف إلى القلب كما قال — تعالى — : (هُوَ الّذي أَنْزَلَ السّكينَةَ في قلوبِ المُؤمنينَ) (٣) فيكون هيبة وغير هيبة، والوقار لايكون إلاّ هيبة» (٤).

والمراد بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين: «أنّه سكّن قلوبهم وآمنهم من العدو، فمن حيث فعل ذلك كان منزلاً للسكينة في قلوبهم، ليزدادوا إيماناً، ويقووا على الجهاد، ويطلبوا الظفر، ومتى حمل الكلام على ماذكرنا كان الكلام على الحقيقة، لأنّ الأمر الذي تأولناه عليه من فعله — تعالى»(٥) وأشار برجشتراسر إلى أنّ الكلمة الآرامية (Skintà) — وهي مصدر في أصلها بمعنى: السكون والنزول في محل — قريبة من لفظ (سكينة) وقد تخصص دلالتها بالسكينة المضافة إلى الله — سبحانه — . (٦)

وورد جذر (س، ك، ن) في القرآن الكريم على أربعة أوجه: (٧)

— القرار، كقوله — تعالى — : (اللهُ الّذي جَعَلَ لَكُمُ اللّيلَ لِتَسْكُنوا فيه)، (٨) يعني: لتستقروا فيه من التعب.

---

(١) التوبة — ٤٠ .
(٢) الفتح — ٢٦ .
(٣) الفتح — ٤ .
(٤) الفروق اللغوية : ١٦٦ .
(٥) متشابه القرآن : ٦٢٠/٢ .
(٦) ينظر : التطور النحوي : ٢٢٥ .
(٧) ينظر : الأشباه والنظائر : ٣١٩—٣٢٠ .
(٨) المؤمن — ٦١ .

ـ النزول ، كقوله ـ تعالى ـ : (وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ) ، (١) يعني : انزلها أنت وزوجك .

ـ الاستئناس ، كقوله : (وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفسكم أَزْواجاً لِتَسْكُنوا إِلَيْها) . (٢)

ـ الطمأنينة ، كقوله : (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) ، (٣) يعني : الطمأنينة في قلوبهم . (٤)

وورد لفظ السكينة في القرآن ست مرات في أقواله ـ تعالى ـ :

ـ (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُم)(٥)

وقال الرّاغب فيها : «زوال الرعب ... وماذكر أنّه شيء ، كرأس الهرّ فما أراه قولاً صحيحاً» (٦) .

ـ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤمنينَ لِيَزْدادوا إِيماناً)(٧)

ـ (فَعَلِمَ مافي قُلوبهم فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (٨) :

ـ (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسولِهِ وَعَلَى المُؤْمنين) (٩)

ـ (ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسولِهِ وَعَلَى المُؤْمنين) (١٠)

---

(١) البقرة ـ ٣٥ .
(٢) الروم ـ ٢١ .
(٣) الفتح ـ ١٨ .
(٤) ينظر : الأشباه والنظائر : ٣٢٠// كتاب القرطين : ١٣٣/٢ // البحر المحيط : ٢٥/٥، ٤٣ .
(٥) البقرة ـ ٢٤٨ .
(٦) المفردات ـ ٢٣٧ .
(٧) الفتح ـ ٤ .
(٨) الفتح ـ ١٨ .
(٩) الفتح ـ ٢ .
(١٠) التوبة ـ ٢٦ .

ـ (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وأيدَّهُ بجُنود لَمْ تَرَوْها) (١)
والملاحظ أنّ هذا اللفظ قد استعمل في القرآن في مواضع القلق والاضطراب التي انتابت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين كالذي حدث في يوم الغار ، ويوم حنين ونحوهما ، فأوجبت زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات (٢) وإذا ماتحقّقت الطمأنينة والسكينة في نفوس المؤمنين يكونون أقدر على إنجاز المهمات الجهادية فَيَمُنّ الله عليهم بالفتح .

ـ ولفظ الفتح : غزير بدلالاته اللغوية ومتنوع في استعمالاته القرآنية ومن الدلالات الحسية لجذر (ف ، ت ، ح) ، قولهم : ناقة فتوح : للواسعة الأحاليل (٣) .

والفُتوح : واحدها فتح ، وهو أول مطر الوسمي ، لأنّه يفتتح الشهر بالمطر . (٤) قال الراجز : (٥)

كَأَنّ تحتي مَخْلفاً قروحاً يَرْعى غُيوثَ العَهْدِ والفُتوحا

والفِتاح : مخر الأرضي ثم حرثها (٦) . والفَتْحُ : الماء يجري من عين أو غيرها (٧) .

ويلاحظ أنّ هذه الاستعمالات تحمل دلالة الخصب والعطاء ، حتى إنهم قالوا إذا ماظهرت أمارات الخصب : ما أحسن ما افتتح عامنا به (٨) .

والفتح فيه دلالة السعة ـ أيضاً ـ ،فقولهم : باب فُتُحُ أي : واسع مفتوح ،

---

(١) التوبة ـ ٤٠ .
(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٢٣٨/٣ ـ ٢٣٩ .
(٣) المنجد : ٢٨٢ .
(٤) م.ن : ٢٨١ ، وينظر : المحيط في اللغة : ٢٧٣/٣ .
(٥) م.ن : الصفحة نفسها .
(٦) المحيط في اللغة : ٢٧٣/٣ .
(٧) الصحاح : ٣٨٩/١ .
(٨) أساس البلاغة : ٤٦٢ .

وقارورة فُتُحُ ، أي : واسعة الرأس (١) .

ويقال : هي الفِتاحة والفِتاحة ، من المفاتحة ، وهي : المحاكمة ،وأنشد ابن السكيت وهو للأسعر الجعفي (٢) :

الا أَبْلِغْ بني عمرٍو رسولاً . فإنّي عن فُتاحَتكُمْ غَنيُّ

والفتّاح : الحاكم (٣) . والفَتْحُ : أن تحكم بين قوم يختصمون إليك (٤) . وقال أعرابي لآخر ينازعه : بيني وبينك الفتّاح ، يعني : الحاكم ، وقال الفرّاء: أهل عُمان يسمون القاضي الفتّاح (٥) ، وقال ابن عباس في قوله — تعالى — : (إنّا فَتَحْنا لكَ فَتْحاً مُبيناً) (٦) : كنت اقرؤها ، ولا أدري ما هي حتى تزوجت بنت مشرح ، فقالت : فتح الله بيني وبينك ، أي: حكم الله بيني وبينك (٧) . وعلى هذا فالفتح هو إزالة الإغلاق والإشكال (٨).

واستعمل القرآن الفتح على أربعة أوجه (٩) :

— القضاء : وذلك كقوله — تعالى — : (ربّنا افْتَح بيْنَنا وبَيْنَ قَوْمنا بالحَقِ وأنت خَيْرُ الفاتحينَ) (١٠) .

---

(١) الصحاح : ٣٨٩/١ .

(٢) إصلاح المنطق : ١١٢ ، وينظر : الزاهر : ١٨٩/١// مقاييس اللغة : ٤٦٩/٤ //أساس البلاغة : ٤٦٢ // اللسان : مادة فتح وفيه (ألا من مبلغ عمراً رسولا) .

(٣) المنجد : ٢٨١// الزاهر : ١٨٩/١ // اشتقاق أسماء الله : ٣٢٦ .

(٤) المحيط في اللغة : ٢٧٢/٣ .

(٥) معاني القرآن : ٣٨٥/١ // الزاهر : ٨٩/١ .

(٦) الفتح — ١ .

(٧) تأويل مشكل القرآن : ٤٩٢ — ٤٩٣ ، وينظر : المبرد ، الفاضل : ١١٣ ، والخبر فيه بغير هذه الصيغة .

(٨) المفردات : ٣٧٠ .

(٩) ينظر : الأشباه والنظائر : ٢٠٤—٣٠٥ // التصاريف : ٢٤٩—٢٥٠ // منتخب قرة العيون النواظر : ١٨٥ — ١٨٦ .

(١٠) الأعراف — ٨٩ .

— الارسال : كقوله : (ما يَفْتَح اللهُ للنّاس مِنْ رحمَة فلا ممْسكَ لَها) (١) .

— الفتح بعينه : كقوله : (حتى إذا جاءوها وفُتحَت أَبوابُها) (٢) .

— النصر : لأنّ الله يفتح به أُمراً مغلقا (٣) ، كقوله : (فَعَسى اللهُ أَنْ يأتيَ بالفَتْحِ أَو أَمْر مِنْ عنده) (٤)،وقوله:(إنْ تَستفتحوا فقَدْ جاءكُمُ الفَتْحُ) (٥) ، أي : النصر (٦) .

والملاحظ أنّ لفظ «الفتح» فيه دلالة الفصل بين الشيئين ليظهر ما وراءهما (٧) فالنصر إذا كان بمعنى : الظفر والغلبة ، فالفتح يحمل — فضلا عن هذا — دلالة الفصل بين الحق والباطل وظهور ذلك للبصر والبصيرة،وسياق الآيات يوضح ذلك ، فقد قال — سبحانه وتعالى — : (فَتَرى الذين في قُلوبهِمْ مَرض يُسارعون فيهِمْ يَقولون نَخشى أَنْ تُصيبنا دائرة فعسى اللهُ أَنْ يأتيَ بالفَتْح أَو أَمْر مِنْ عنْده ، فَيُصبحوا على ما أَسَروا في أَنْفسهِمْ نادمين) (٨) ، فالمنافقون كانوا يشكّون في أَمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ويحدثون أَنفسهم قائلين : لا نظنّ أَنّه يتم له أَمره ، والأظهر ان تصير الدّولة والغلبة لأعدائه .

فَوعد الله — سبحانه — أن يأتي بالفتح لرسوله — صلى الله عليه وسلم — على أَعدائه ليظهر المسلمين بالحق على اعدائهم ، ويقطع دابر اليهود ، فيصبح

---

(١) فاطر — ٢ .
(٢) الزمر — ٧٣ .
(٣) تأويل مشكل القرآن : ٤٩٢ .
(٤) المائدة — ٥٢ .
(٥) الأنفال —١٩ .
(٦) المنجد : ٢٨٢ .
(٧) الفروق اللغوية : ١٢٣ .
(٨) المائدة — ٥٢ .

المنافقون نادمين على ما حدّثوا به أنفسهم (١) .

ومما يكشف عن الدلالة التي ذكرناها — أيضاً — في سبب النزول ، قوله — تعالى — : (إنْ تَستَفْتحوا فقدْ جاءكمُ الفَتْحُ) (٢) ، فقد روى الحاكم عن عبدالله بن ثعلبة بن صغير أنه قال : كان المستفتح أبا جهل ، فإنّه قال حين التقى القوم : اللّهم أينُا كان أقطع للرحم ، وأتى بما لا يعرف فَأحْنِه : (فأملكه) الغداة . وكان ذلك استفتاحاً ، فأنزل الله: (إنْ تَسْتفْتحوا فقَدْ جاءكم الفتح) إلى قوله : (وأنّ اللهَ مع الصابرين) »(٣). والبادي من هذه الرواية أنّ أبا جهل كان لا يعرف الحق من الباطل مكابرة، فاستعمل القرآن لفظ «الفتح» ليدل على معنى الفصل بين الحق والباطل وظهور ذلك للعيان من خلال انتصار المسلمين ، والمعنى : «إنْ تَسْتنْصروا لأَهْدى الفئتين وأكرم الحزبين فقد جاءكم النصر» (٤) . مظهراً أهل الحق مركساً أهل الباطل .

وإذا ماتم الفتح فقد تحقق وعد الله الذي وعد به عباده المؤمنين وهو الاستخلاف والتمكين والأمن ، وذلك في قوله — تعالى — : (وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكمْ وعَملوا الصّالحاتِ ليستخْلفَنّهمْ في الأرضِ كَما استَخلفَ الّذينَ منْ قبلهمْ وليمكنّ لهمْ دينهمُ الذي ارْتضى لهم وليبدلنهم منْ بعدِ خوفهمْ أمناً يعبدونَني لايُشْرِكونَ بي شيئاً ومنْ كفرَ بعدَ ذلكَ فأُولئكَ همُ الفاسقونَ) (٥) .

— ولجذر (خ ، ل ، ف) في اللغة دلالات عديدة ، منها : الخَلْفُ : نقيض القدّام .

---

(١) التفسير الكبير : ١٢/١٦—١٧ .
(٢) الأنفال —١٩ .
(٣) لباب النقول في أسباب النزول : ١٢٧—١٢٨ .
(٤) التفسير الكبير : ١٥/١٤٢ .
(٥) النور —٥٥ .

والخَلْفُ : القرن بعد القرن (١) . ويقال: هذا خَلْفُ سوء لناس لاحقين بناس أكثر منهم ، قال لبيد : (٢)

ذَهبَ الذينَ يُعاشُ في أكْنافهم وبقيتُ في خَلْف كجلد الأجربِ

والخَلْفُ : الرَّديُّ من القول ، ويقال في مَثَلٍ : «سكتَ أَلْفاً ونطقَ خَلْفاً» للرجل يطيل الصمت فإذا تكلم تكلم بالخطأ (٣) .

والخَلْفُ . الاستقاء ، قال الحطيئة : (٤)

لِزُغْبٍ كأَوْلادِ القطا راث خلْقُها على عاجزاتِ النَهضِ حُمْرٍ حواصِلُهْ

والمُسْتَخْلِف : الذي يحملُ الماء من بعد إلى أهله. (٥)

والخَلْفُ : أقصر أضلاع الجنب ، ومنه قول طرفة بن العبد : (٦)

وطَيٌّ مَحالٍ كالحَنِيِّ خُلوفُهُ وأَجرِتَةٌ لُزَّتْ بِدَأْيٍ مُنَضَّدِ

والخَلْفُ الخَلَفُ : ماجاء من بَعْدُ ، يُقال : هو خَلْفُ سوء من أبيه ، وخَلَفُ صدْق من أبيه ... إذا قام مقامه. (٧) والخَلَفُ أَيْضاً : مااستخلفته من شيء . (٨) والخِلْفُ : واحد الأخْلاف ، وهو : موضع يد الحالب من ضرع الناقة. (٩) والخِلْفُ أيضاً : المخاض ، وهي : الحوامل

(١) الصحاح : ٤/١٣٥٣-١٣٥٤ .
(٢) شرح ديوانه : القصيدة : ٥ ، البيت ٢ وينظر : إصلاح المنطق ١٣ ، ٦٦ //الصحاح ٤/١٣٥٤ .
(٣) الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب : المثل : ٤١٥ ، ١١٩/٢ ، وينظر إصلاح المنطق : ١٢ ، ٦٦ // الصحاح : ٤/١٣٥٤ .
(٤) ديورن : القصيدة : ١٢ ، البيت : ١٥ ، ص٨٠ ،وينظر : إصلاح المنطق: ١٣ ، ٦٦= الصحاح : ٤/١٣٥٤ .
(٥) إصلاح المنطق : ١٣ .
(٦) ديوانه : القصيدة : ٨ ، البيت : ٢٠ ، ص٢٤ ، وينظر : الصحاح : ٤/١٣٥٤ .
(٧) الصحاح : ٤/١٣٥٤ .
(٨) م.ن : الصفحة نفسها .
(٩) كتاب : الفرق ، المورد-مج ١٣ ، العدد الأول ، بغداد ١٩٨٤ ، ص٨٩ .

من النوق الواحدة خَلِفَةٌ (١) والخُلْفُ بالضم : الاسم من الإخلاف ،وهو في المستقبل كالكذب في الماضي (٢) .

والاستخلاف في الآية الخامسة والخمسين من سورة النور : (وَعدَ اللهُ الذينَ آمنوا منكمْ وعملوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفنَهُمْ في الأرض)، هو النيابة تشريفا للمستخلف، (٣) ولهذا ذهب المفسرون إلى أنّ قوله — تعالى— (ليستخلفنهم) يعني : ليورثنّهم الأرض فيجعلهم ملوكها وساستها ، والقول عام يشمل استخلاف الجمهور ماتحقق فيهم الإيمان والعمل الصالح (٤) ، المفسر بقوله : (يعبدونَني لايُشرِكونَ بي شيئاً) .

— واما التمكين فالمَكْنُ في اللغة : بيض الضب ، وقد وردت إشارة في شعر أبي الهندي (ت ١٨٠هـ) ، إلى أنّه من طعام العرب ، فقال (٥) :

ومَكْنُ الضباب طَعامُ العُريب ولا تَشتهيهِ نُفوسُ العَجَمْ

قال ذلك مفتخراً على العجم ، وقالوا : وهذه مَكْنَةُ الضبة ومَكِنَةُ الضبة ومَكِناتُها : مقارُّها (٦) . وعلى هذا فالمكن والمكان عند اهل اللغة : الموضع الحاوي للشيء (٧) .

وتمكين الدين في الآية الخامسة والخمسين من سورة النور استعارة من هذا المعنى . قال الطبري في قوله : (ليمكنن لهم دينهم) : ليوطئنّ (٨) .

---

(١) م.ن : الصفحة نفسها .
(٢) م.ن : الصفحة نفسها :
(٣) المفردات : ١٥٦ .
(٤) ينظر : جامع البيان : ١٢٢/١٨ // الكشاف : ٧٣/٣ // التفسير الكبير : ٢٤/٢٤// الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٧/١٢-٣٠٠ // مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١٥٢/٣// جواهر الحسان : ١٢٦/٣ // الوجيز في تفسير القرآن على هامش كتاب مراح لبيد : ٨٨/٢ .
(٥) ديوان أبي الهندي وأخباره : القصيدة ٣٣ ، البيت : ٨ ، ص٥٢ ، وينظر : الصحاح : ٢٢٠٥/٦// أساس البلاغة : ٦٠١ .
(٦) الصحاح : ٢٢٠٦/٦ // أساس البلاغة : ٦٠١ .
(٧) المفردات : ٤٧١ .
(٨) جامع البيان : ١٢٢/١٨ .

وفسر الزمخشري : بالتثبيت (١) ، وقال الرازي : هو أن يؤيدهم بالنصر والإعزاز (٢)، وقال عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي هو التثبيت والتعضيد (٣)، ودلالة التمكين على التوطئة والتثبيت دلالة تضمنية ، ودلالته على التأييد دلالة التزامية. والملاحظ أنّ التمكين متضمن الآلة والمكان الذي يتمكن فيه . وتمكين الله الدين للمؤمنين فيه دلالة على إعطاء ما يصح به الفعل كائناً ماكان من الآلات والعدد والقوى، كما أنّ التمكين فيه دلالة على عدم امتلاك ما حازه (٤) المرء، لأنّ التمكين من الدين يكون على وفق ما أراد الله — سبحانه — من تنفيذ شريعته ، لا على وفق ما يريده ، الممكّن له في الأرض .

— وأمّا الأمن ؛ فمن دلالاته الحسية ؛ قولهم : ناقة أمون : للموثقة الخلق التي أمنت أن تكون ضعيفة (٥) . وفرس أمين القوي (٦) .

والأمن: ضد الخوف، (٧) فإذا زال الخوف واطمأنت النفس كان الأمن (٨) وتلقي أسباب النزول ضوءاً على دلالات هذه الألفاظ ، فقد «أخرج الحاكم والطبراني عن أبي بن كعب قوله : لمّا قدم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لايبيتون إلاّ بالسلاح ، ولا يصبحون إلاّ فيه ، فقالوا : ترون أنّا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لانخاف إلاّ الله ، فنزلت : (وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم ... الآية) وعن ... البراء (بن عازب) قال : فينا نزلت هذه الآيـــة

---

(١) الكشاف : ٣/٧٣ .
(٢) التفسير الكبير : ٢٤/٢٤ .
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣/١٥٢ .
(٤) الفروق اللغوية : ٩٠ ، ١٥٥ .
(٥) الصحاح : ٥/٢٠٧٢ .
(٦) أساس البلاغة : ٢٢ .
(٧) الصحاح : ٥/٢٠٧١ .
(٨) المفردات : ٢٥ ، وينظر : كتاب القرطين : ١/١٠٧ .

ونحن في خوف شديد» (١) .

وعلى هذا فالآية تبيّن «جزاء الطاعة المخلصة ، والإيمان العامل ، في هذه الأرض قبل يوم الحساب» (٢) .

والملاحظ أن ألفاظ : (ليستخلفنهم، وليمكنن ، وليبدلنهم) قد جاء كل منها مؤكداً بالنون ، داخلة عليه اللام. وهذه اللام إنمّا جاءت لتحقيق الأمر وإثباته في نفوس المؤمنين وانه كائن لا محالة (٣) .

ومن الألفاظ التي دارت على معنى له علاقة بالاستخلاف لفظ :

— أورث : ذلك أنّ الورث هو : الأصل والبقية ، قال الشاعر (٤) :

فَلينْظُر في صُحُفٍ كالرِّبـــا طِ فيهنّ إرثُ كتاب مُحـــي

والوراثة والإرث : انتقال قُنْيَة إليك عن غيرك من غير عقد ولا مايجري مجرى العقد ، وسمي بذلك المنتقل عن الميّت ، فيقال للقنية الموروثة ميراث وإرث . (٥) وحقيقة الميراث في الشرع : «هو ماانتقل إلى الإنسان عن ملك الغير بعد موته على وجه الاستحقاق» (٦) .

واستعمل القرآن هذا اللفظ — في قوله — تعالى — : (وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الّذينَ كانوا يُسْتَضْعَفونَ مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبها الّتي بارَكْنـــا فيها وَتَمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ الحُسْنى على بني إسْرائيلَ بما صَبَروا ودَمّرْنا ماكانَ يَصْنَعُ فرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وما كانوا يَعْرِشونَ) (٧) في نزول قوم

(١) لباب المنقول في أسباب النزول : ٢٠٢ .
(٢) في ظلال القرآن : ١١٨/٦ .
(٣) ينظر : المثل السائر : ٥٥/٢—٥٧ .
(٤) المفردات : ٥١٨ .
(٥) المصدر السابق : ٥١٨ .
(٦) تلخيص البيان : ٤٤ .
(٧) الأعراف —١٣٧.

ديار قوم بعدهم بما صبروا ، وجاءت هذه الآية مقابلة لقول موسى: (قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعمَلونَ) ، (١) فلّما بين الله — تعالى — إهلاك القوم بالغرق على وجه العقوبة بيّن مافعله بالمؤمنين من الخيرات وهو أنه — تعالى — أَوْرَثهم أرضهم وديارهم ، فتحقق الوعد بالاستخلاف . (٢) وورد االلفظ — أيضاً — في قوله — عز وجل — : (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأوها وكانَ اللهُ على كُلّ شَيءٍ قَديراً) .(٣) للدلالة على أخذ المؤمنين أموال بني قريظة بعد حربهم وإجلائهم عن المدينة المنورة .

— وإذا كان الله — سبحانه — قد جعل المستضعفين يرثون الأرض فقد منّ عليهم بأنْ جعلهم أئمّة في قوله: (وَنُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الّذين آسْتُضْعِفوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثين) (٤) . والأمُّ في اللغة : القصد . يُقال أَمَمْتُهُ أَؤُمُّهُ أَمّاً : إذا قصدت له (٥) . ومن الدلالات الحسية لهذه المادة ؛ الإمام : لخشبة البنّاء التي يُسوى عليها البناء ، قال الشاعر (٦) :

وخَلَقْتُهُ حتى إذا تَمَّ واستوى كَمُخةِ ساق أَو كَمَتْنِ إمامَ
قَرَنْتُ بِحَقْوَيهِ ثلاثاً فَلَم يَزِغْ عَنِ القَصدِ حتى بُصِّرَتْ بِدمام

والإمام : الصقع من الأرض ، والطريق ... والإمام الذي يقتدى به (٧) .

---

(١) الأعراف — ١٢٩ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٤/٢١٢—٢٢١ .
(٣) الأحزاب — ٢٧ .
(٤) القصص — ٥ .
(٥) إصلاح المنطق : ٦١ .
(٦) الصحاح : ٥/١٨٦٥ ، وينظر : أساس البلاغة : ٢١ .
(٧) م.ن : الصفحة نفسها ، وينظر : المفردات : ٢٤ .

وفي هذا المعنى ورد لفظ «أئمة» في الآية ، قال قتادة : وتجعلهم أئمة ، أي : ولاة أمر (١) . وعن مجاهد : دعاة إلى الخير (٢) .وذهب الزمخشري والرازي إلى : أنهم المقدمون في الدين والدنيا ، واقتران لفظ أئمة بلفظي «الوارثين ونمكّن» يقوى هذه الدلالة ، لأن من لوازم تمكين الله لهم أنْ ينفذ أمرهم ويطلق أيديهم (٣) .

إنّ الوصول إلى الاستخلاف في الأرض والتمكين يتم عن طريق الجهاد ، وقد قال — سبحانه وتعالى — : (يُجاهِدونَ في سَبيلِ الله ولا يَخافونَ لَومةَ لائِم ذلك فَضْلُ الله يُؤتيه مَنْ يَشاء) (٤) ، وهذه دلالة الفضل ، إذ بيّن — تعالى — أنّ جهادهم على هذا الوجه فضل من الله من حيث يوفق لذلك ، ومن حيث يؤديهم إلى النعم العظيمة من الثواب (٥) .

إنّ الجهاد في الإسلام حياة كاملة ممتدة ، فقد قال — سبحانه — (يا أيّها الذينَ آمَنوا استَجيبوا لله وللرَّسول إذا دَعاكُمْ لِما يُحْييكُمْ واعلموا أنّ الله يَحولُ بَيْنَ المَرءِ وقلبِهِ وأنّهُ إليه تُحشرونَ) (٦) .

— ولفظ «يحييكم» له دلالته اللغوية الخاصة عند العرب ، فقد قالوا : اخصب القوم وأحيوا . والحيا ... كثرة الغيث (٧) . ومن دلالات جذر (ح ، ى ، ى) الحياة ضد الموت (٨) . وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ سورة الأنفال بجملتها نزلت في غزوة بدر (٩) ترجح لدينا أنّ هذه الدعوة تختص بالدعاء

(١) جامع البيان : ١٩/٢٠ .
(٢) التفسير الكبير : ٢٢٦/٢٤ .
(٣) ينظر الكشاف : ١٦٥/٣ // التفسير الكبير : ٢٢٦/٢٤ .
(٤) المائدة — ٥٤ .
(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن : ١١٩ ، وينظر : بصائر ذوي التمييز : ١٩٧/٤ .
(٦) الأنفال — ٢٤ .
(٧) تهذيب الألفاظ : ١٣ ، وينظر : الصحاح : ٢٣٢٤/٦ .
(٨) الصحاح : ٢٣٢٣/٦ .
(٩) ينظر : لباب النقول في أسباب النزول : ١٢٥ وما بعدها .

إلى الجهاد وقتال العدو ، وقد أعلمهم الله — سبحانه — : «أنّ ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين ، وتقليل لعددهم ، وفلّ لحدهم وحسم لأطماعهم » (١) ... ويجري ذلك مجرى قوله — عز وجل — : (ولكُمْ في القِصاص حياة) (٢) . إنّ تعبير القرآن عن الجهاد بلفظ «يحييكم» إنّما هو دلالة على أنّ الجهاد دعوة إلى عقيدة ، تحيي القلوب والعقول وشريعة ، تحرر الإنسان وتكرمه ، ومنهج للفكر يحقق القوة والعزة والاستعلاء (٣) .

إنّ النصر الذي يحرزه المؤمنون بجهادهم لا تتخلف عنه يد القدرة ، فولاية الله لهم دائمة ، وفي ذلك — يقول — تعالى — : (واللهُ أَعْلَمُ بأعْدائكُمْ وكفى باللهِ وليّاً ، وكفى باللهِ نَصيراً) (٤) .

— والوَلْيُ في اللغة : القُرْبُ والدُّنُو ، يقال : تباعد بعد وَلْي (٥) ، وقال ساعدة بن جؤيّة الهذلي (٦) :

هَجَرَتْ غَضوبُ وَحُبَّ مَنْ يَتَحَبَّبُ وعَدَتْ عَوادٍ دون وَلْيِكَ تَشْعَبُ

ومن الدلالات الحسية لجذر (و ، ل ، ي) الوَلِيُّ : المطر بعد الوسْميّ سُمِّيَ وَلِيّاً لأنه يلي الوسمي ، (٧) والوسمي : مطر الربيع الأول عند إقبال الشتاء . (٨) وعلى هذا «فالولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ماليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد» (٩) ،

---

(١) أمالي المرتضى : ١/٥٢٨—٥٢٩ .
(٢) البقرة — ١٧٩
(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٣/٨٣٣—٨٣٤ .
(٤) النساء — ٤٥ .
(٥) الصحاح : ٦/٢٥٢٨ .
(٦) ديوان الهذليين : ١ : ١٦٧ ، وينظر : الصحاح : ٦/٢٥٢٨ وفيه : وحب من يتجنب
(٧) الصحاح : ٦/٢٥٢٩ // فقه اللغة وسر العربية : ٢٧٧ .
(٨) أدب الكاتب : ٧٦ .
(٩) المفردات : ٥٣٣ ، وقد ذكرتها كتب الوجوه والنظائر مفصلا ينظر : الأشباه والنظائر : ١٩٥—١٩٨ // التصاريف : ٢٣٥—٢٣٨ .

ولذا صحّ أن تقال الولاية والوَلاية في النُّصْرَةِ (١) ، مع ملاحظة دلالة الدنو والقرب فيها .

وقد ترتب على نصرة المؤمن لله ورسوله والمؤمنين الغلبة ، وذلك في قوله تعالى — : (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسولَهُ والّذينَ آمَنوا فَإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالبونَ) . (٢) قال الرازي : «قوله : (فإنّ حزب الله هم الغالبون) جملة واقعة موقع خبر المبتدأ ، والعائد غير مذكور لكونه معلوماً ، والتقدير فهو غالب لكونه من جند الله وأنصاره» (٣) .

وجذر (غ ، ل ، ب) في اللغة له دلالات حسية كثيرة ، منها قولهم : «رجل أَغْلَب : بيّن الغَلَب ، إذا غلظت عنقه حتى لا يمكنه أن يلتفت وبذلك سمي الأسد : اغلب» (٤) .

وهضبة غلباء ، وعزّة غلباء ... وحديقة غلباء : ملتفة ، وحدائق غُلْب . واغلولب العشب : بلغ والتف (٥) .

والغَلَبَةُ : القهر والاستيلاء ، قيل : وأصل غَلَبَ : أن تناول وتصيب غلب رقبته (٦) .

ونلحظ من هذه الدلالات الحسية أنّ في الغلبة قوة ناتجة عن الالتفاف والعظم ولهذا استعملها القرآن في مواضع الجهاد ،وتحقيق النصر كقوله — عزوجل — : — (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذن اللهِ) (٧) ،

---

(١) إصلاح المنطق : ١١١ .
(٢) المائدة : ٥٦ .
(٣) التفسير الكبير : ٣٢/١٢ ، وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢٨٩/١ .
(٤) الاشتقاق : ٢٥/١ ، وينظر : ٣٤٦/٢ // الصحاح : ١٩٥/١ .
(٥) الصحاح : ١٩٥/١ ، وينظر : أساس البلاغة : ٤٥٣ .
(٦) المفردات : ٣٦٣ — ٣٦٤ .
(٧) البقرة — ٢٤٩ .

وقوله : (إنْ يكن منكم عشرون صابرون يَغْلبوا مئتين وإنْ يَكُنْ منكم مئة يَغْلبوا الفاً منَ الذين كفروا بأنهُم قوم لا يفقهون) (١). كما استعملها في مواضع بيان قدرة الله وهيمنته كقوله — جلّت قدرته — : (قُلْ للذين كفروا ستُغلبونَ وتُحشرون إلى جَهَنّم وبئس المهادُ) (٢) ،

وقوله : (واللهُ غالب على أَمره ولكنّ أكثر الناسِ لا يعلَمونَ) (٣) ،

وقوله : (أفلا يَرونَ أنّا نأتي الأرضَ ننْقُصها منْ أطرافها أَفَهُمُ الغالبون) (٤) .

إنّ تحقيق الغلبة والانتصار للمؤمنين له منافع في الدنيا ، فقد قال — سبحانه — (قاتلوهُمْ يُعَذّبُهُمُ اللهُ بأَيْديكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدورَ قَوْمٍ مُؤمنينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلوبهِمْ وَيَتوبُ اللهُ عَلى مَنْ يَشاءُ واللهُ عَليم حكيم) (٥) . وهذه المنافع هي : القتل والأسر والذل والهوان حيث شاهد الكفّار أنفسهم مقهورين في أيدي المؤمنين ويقابل ذلك نصر المؤمنين وشفاء صدورهم ، وإذهاب غيظ قلوبهم . وهذه المنافع «ترجع إلى تسكين الدواعي الناشئة من القوة الغضبية ، وهي التشفي ودرك الثأر وإزالة الغيظ — ولم يذكر — تعالى — فيها وجدان الأموال والفوز والمطاعم والمشارب ، وذلك لأن العرب قوم جبلوا على الحمية والأنفة فرغّبهم في هذه المعاني لكونها لائقة بطباعهم» (٦) .

ومما لاشك فيه أنّ هذه الصفات قد وُجِّهَتْ في الإسلام وجهة تخدم العقيدة والفكرة ، فكانت قوة الغضب والحميّة والأنفة لأجْل الدين وعلوّه .

---

(١) الأنفال — ٦٥ ، وتنظر الآية : ٦٦ .
(٢) آل عمران — ١٢ .
(٣) يوسف — ٢١ .
(٤) الانبياء — ٤٤ .
(٥) التوبة — ١٤—١٥ .
(٦) التفسير الكبير : ٤/١٥ .

— واختيار القرآن للفظ «يشفي» للتعبير عن إدراك الثأر له دلالته ، إذ أنّ من الدلالات الحسية لجذر (ش ، ف ، ي) قولهم : شفا البئرِ وغيرها حَرفُهُ ، ويضرب به المثل في القرب من الهلاك . (١) وذكر ابن السكيت أنه يقال للرجل عند موته ، وللقمر عند امّحاقه ، وللشمس عند غروبها : مابقي من فلان إلاّ قليل ، وما بقي إلاّ شفا ، وكذلك مابقي من القمر إلاّ شَفَا ، وما بقي من الشمس إلاّ شفّا» . (٢) قال العجاج : (٣)

وَمَرْبَإٍ عالٍ لِمَنْ تَشَرَّفا أَشْرَفْتُهُ قَبْلَ شَفاً أو بشفا

ويقال : أشاف على كذا وكذا ، يشيف إشافة ، وأشفى يُشفي إشفاءً : إذا اشرف عليه ، ويقال : قد شاف الشيء يشوفه شوفاً : إذا جلاه (٤) . وحُكي : أشفني عَسَلاً ، أي : اجعله لي شفاءً وقد شفيتُه مما به أشفيه شفاء (٥) .

والملاحظ انّ لهذه المادة دلالة ضدية ، وهي نوع من الانتقال المجازي للتفاؤل فالأصل : القرب من الهلاك، ثم انتقل بها إلى الدلالة على البرء والسلامة. والقرآن الكريم قد استعمل الدلالتين المذكورتين .

فمن الأولى : قوله — تعالى — : (وكُنتم على شَفا حُفرة مِنَ النار فأنقذَكُم منها) (٦) .

ومن الثانية : قوله : (ويَشفِ صدورَ قَوم مُؤمنين) (٧) .

---

(١) المفردات : ٢٦٤ .
(٢) إصلاح المنطق : ٤٠٩ .
(٣) ديوانه : القصيدة : ٤٤ ، البيت : ٢٦ ، ٢٧ ، ص٤٩٣ ، وينظر : إصلاح المنطق : ٤٠٩ //الصحاح : ٢٣٩٣/٦ وفيه : بلا شفا .
(٤) إصلاح المنطق : ٢٥٩ ، وينظر : الصحاح : ٢٣٩٤/٦ .
(٥) م.ن : ٢٧٠ ، وينظر : الصحاح : ٢٣٩٤/٦ .
(٦) آل عمران — ١٠٣ .
(٧) التوبة : من الاية ١٤ .

إنّ النصر الذي ناله المؤمنون في الدنيا قد بشر به الله — سبحانه وتعالى — وأكد دفاعه عن المؤمنين منذ اللحظة الأولى من المواجهة المسلحة بين معسكر الإسلام ومعسكر الشرك ، فقال: (إنَّ اللهَ يُدافع عَنِ الذين آمنوا إنَّ اللهَ لا يُحب كلَّ خوّان كفور. أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإنَّ الله على نَصرهِمْ لقدير) (١) .

— فما دلالة لفظ « يدافع » في هذه الآية ؟ :

ولجذر (د ، ف ، ع) في اللغة دلالات حسية ، منها قولهم : الدُّفعةُ من المطر وغيره ... مثل الدَّفْقَة ، والدَّفْقةُ بالفتح : المرة الواحدة ... والدّافع : الشاة او الناقة التي تدفع اللبأ في ضرعها قبيل النتاج (٢) .

وبعير مدفّع كريم على أهله إذا قَرَّبَ للحمل ردّ ضَنّاً به، قال ذوالرمة(٣)

وَقَرَّبْنَ للأظْعانِ في كُلِّ مُدَفَّع منَ البُزْلِ يوفي بالحويّة غارِبُه

والمدفع : واحد مدافع المياه التي تجري فيها .. والدُّفّاع بالضم والتشديد: السيل العظيم. (٤) وتدافع السيل ، قال زهير : (٥)

إليكَ منَ الغَوْرِ اليَماني تَدافَعَتْ يَداها وَنِسْعا غَرْضِها قَلِقانِ

وهذه الدلالات ترتبط بمعاني الخير والخصب .

ومن دلالات المادة السرعة ، يقال : دفعت الرجل فاندفع ، واندفع الفرسُ أي : أسرع في سيره (٦) .

---

(١) الحج — ٣٨—٣٩ .
(٢) الصحاح : ١٢٠٨/٣ .
(٣) ديوان شعر ذي الرمة ، تح/كارليال : القصيدة : ٥ ، البيت ، ١٧ ، ص٤٢ ، وينظر : أساس البلاغة : ١٩٠ .
(٤) الصحاح : ١٢٠٨/٣ .
(٥) شرح ديوان زهير : القصيدة : ٥٠ ، البيت : ١٢ ، ص٣٦٢ ، وينظر: أساس البلاغة ١٩٠ .
(٦) الصحاح : ١٢٠٨/٣ .

«والدفع إذا عُدّي بإلى اقتضى معنى : الإنالة ، نحو قوله – تعالى – : (فَادْفَعوا إلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ ، (١) وإذا عدّى بعَنْ اقتضى معنى : الحماية»(٢) نحو قوله : (إنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الّذينَ آمَنوا)، (٣) وهذه الدلالة لاتنفك عن معناها الحسيّ بما فيه من السرعة والخير ، إذ النصر خير من عند الله،وللمؤمنين أَنْ يطمئنوا إلى حماية الله لهم ونصره إيّاهم وهم يجاهدون في سبيله .

---

(١) النساء – ٦ .
(٢) المفردات : ١٧٠ .
(٣) الحج – ٣٨ .

المصادر والمراجع

١ ــ الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، القاهرة ١٩٥١ .

٢ ــ أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٣ .

٣ ــ أساس البلاغة ، الزمخشري ، بيروت ١٩٦٥ .

٤ ــ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، مقاتل بن سليمان ، تحقيق الدكتور عبدالله محمود شحاتة ، القاهرة ١٩٧٥ .

٥ ــ الاشتقاق ، ابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، بغداد ١٩٧٩ .

٦ ــ إشتقاق أسماء الله ، الزجاجي ، تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك ، النجف الأشرف ١٩٧٤ .

٧ ــ إصلاح المنطق ، إبن السكيت ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٧٠ .

٨ ــ الاعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى ، الاسكندرية ١٩٨١ .

٩ ــ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ١٩٦١ .

١٠ ــ الأفعال ، ابن القوطية ، تحقيق علي فودة ، القاهرة ١٩٥٢ ،

١١ ــ أمالي الزجاجي ، الزجاجي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٨٢هـ .

١٢ ــ أمالي المرتضى ؛ غرر الفوائد ودرر القلائد ، الشريف المرتضى ، القاهرة ١٩٥٤ .

١٣ ــ البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي ، القاهرة ١٣٢٨هـ .

١٤ — بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجدالدين الفيروزآبادي ، جـ ١ — ٤ ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٤ ، جـ ٥ — ٦ تحقيق عبدالعليم الطحاوي ، القاهرة ١٩٧٠ ، ١٩٧٣ .
١٥ — التصاريف ، تفسير القرآن مما اشتبهت اسماؤه وتصرفت معانيه — يحيى بن سلام ، تحقيق هند شلبي ، تونس ١٩٨٠ .
١٦ — تصحيح الفصيح ، ابن درستويه ، تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري ، بغداد ١٩٧٥ .
١٧ — التطور النحوي للغة العربية — محاضرات ألقاها برجشتراسر في الجامعة المصرية ١٩٢٩ ، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب ، الرياض ١٩٨٢ .
١٨ — التفسير الكبير ، فخرالدين الرازي ، صورة لطبعة طهران (د.ت) .
١٩ — تفسير مجاهد ، تحقيق عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، قطر ١٩٧٦ .
٢٠ — تفسير النسفي المسمى : مدار التنزيل وحقائق التأويل ، القاهرة (د . ت) .
٢١ — تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، بغداد ١٩٥٥ .
٢٢ — تنزيه القرآن عن المطاعن ، القاضي عبدالجبار المعتزلي ، بيروت (د. ت).
٢٣ — جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، بيروت ١٩٧٨ .
٢٤ — الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تصحيح أحمد عبدالعليم البردوني ، وآخرين ، بيروت ١٩٦٧ .
٢٥ — جواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبدالرحمن بن محمد الثعالبي ، المعروف بتفسير الثعالبي ، بيروت (د . ت) .

٢٦ ـ الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن القاسم المرادي ، تحقيق طه محسن ، الموصل ١٩٧٦ .
٢٧ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، الشريف الرضي ، شرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، النجف ١٩٣٦ .
٢٨ ـ دلائل الاعجاز في علم المعاني ، عبدالقاهر الجرجاني ، تصحيح الإمام محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، وتعليق محمد رشيد رضا ، بيروت ١٩٨١ .
٢٩ ـ ديوان أبي الهندي وأخباره ، صنعة عبدالله الجبوري ، النجف الاشرف ١٩٧٠ .
٣٠ ـ ديوان الأخطل ، برواية أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي ، بعناية الأب انطوان صالحاني اليسوعي ، بيروت (د . ت) .
٣١ ـ ديوان الأعشى الكبير ، شرح الدكتور محمد محمد حسين ، القاهرة ١٩٥٠ .
٣٢ ـ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، لندن ١٩٧٠ .
٣٣ ـ ديوان الحطيئة ، برواية ابن حبيب عن ابن الاعرابي وأبي عمرو الشيباني ، شرح ابي سعيد السكري ، بيروت ١٩٦٧ .
٣٤ ـ ديوان الحطيئة ، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق نعمان امين طه ، القاهرة (د . ت) .
٣٥ ـ ديوان شعر ذي الرمة ، بعناية كارليل هنري هيس ، كمبردج ١٩١٩ .
٣٦ ـ ديوان طرفة بن العبد ، بيروت ١٩٦٠ .
٣٧ ـ ديوان العجاج ، رواية عبدالملك بن قُريب الاصمعي ، تحقيق الدكتور عزت حسن ، بيروت ١٩٧١ .

٣٨ ــ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، بيروت ١٩٦٦ .
٣٩ ــ ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥.
٤٠ ــ زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج ابن الجوزي ، دمشق ١٩٦٤.
٤١ ــ الزاهر في معاني كلمات الناس ، ابن الانباري ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٧٩ .
٤٢ ــ سؤلات نافع بن الأزرق ، ضمن كتاب : الاتقان للسيوطي ، القاهرة ١٩٥١ .
٤٣ ــ شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ابن يزيد الشيباني ، ثعلب ، القاهرة ١٩٦٤ .
٤٤ ــ الصحاح ؛ تاج اللغة وصحاح العربية ــ الجوهري ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، بيروت ١٩٨٤ .
٤٥ ــ الطبيعة في القرآن الكريم ، الدكتور كاصد ياسر الزيدي ، بغداد ١٩٨٠ .
٤٦ ــ العربية بين امسها وحاضرها ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٧٨ .
٤٧ ــ الفاضل ، المبرد، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٥٦ .
٤٨ ــ الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق حسام‌الدين القدسي ، بيروت ١٩٨١ .
٤٩ ــ الفعل زمانه وأبنيته ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٦٦ .
٥٠ ــ فقه اللغة وسر العربية ، الثعالبي ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخرين، القاهرة ١٩٧٢ .
٥١ ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، بيروت ١٩٦٧ .
٥٢ ــ في النحو العربي ، مهدي المخزومي ، بيروت ١٩٦٤ .

٥٣ ــ القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، نشر محمد عبداللطيف الخطيب ، القاهرة (د . ت) .
٥٤ ــ كتاب الفرق ، ثابت بن ابي ثابت ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، مجلة المورد ، المجلد الثالث عشر ، العدد الاول ، بغداد ١٩٨٤ .
٥٥ ــ كتاب القرطين أو كتابا : مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ، ابن مطرف الكناني القرطبي ، القاهرة ١٣٥٥هـ .
٥٦ ــ كتاب الموطأ ، مالك بن أنس ، تقديم فاروق سعد ، بيروت ١٩٧٩.
٥٧ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الآقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، طهران (د . ت) .
٥٨ ــ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، ابن العماد ، تحقيق الدكتور فؤاد عبدالمنعم احمد ، تقديم ومراجعة الدكتور محمد سليمان داود ، الاسكندرية ١٩٧٧ .
٥٩ ــ كنز الحفاظ من كتاب تهذيب الالفاظ ، ابن السكيت ، ضبط الاب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ١٩٨٥ .
٦٠ ــ لباب النقول في أسباب النزول ، السيوطي ، تونس ١٩٨٤ .
٦١ ــ لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ١٩٥٦ .
٦٢ ــ متشابه القرآن ، القاضي عبدالجبار المعتزلي ، تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور ، القاهرة ١٩٦٩ .
٦٣ ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ، ج ١ ــ ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٣٩ ، ج ٣ ــ ٤ تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي بطانة ، القاهرة ١٩٦٢ .

٦٤ـ المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٨١ .
٦٥ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي ، القاهرة (د . ت) .
٦٦ـ المستقصى في امثال العرب ، الزمخشري ، حيدرآباد ، ١٩٦٢ .
٦٧ـ المصطلح اللغوي في القرآن الكريم ، الدكتور محيي الدين توفيق ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، العدد السابع والثلاثون ، بغداد ١٩٨٦ .
٦٨ـ معاني الأبنية في العربية ، الدكتور فاضل السامرائي ، بغداد ١٩٨١ .
٦٩ـ معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، بيروت ١٩٨٣ .
٧٠ـ معجم الأفعال المتعدية واللازمة ، الدكتور هاشم طه شلاش ، مجلة المورد ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثاني ، بغداد ١٩٨٤ .
٧١ـ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧٩ .
٧٢ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الانباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة (د . ت) .
٧٣ـ المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت (د . ت) .
٧٤ـ منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد السيد الصفطاوي ، الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد ، الاسكندرية (د . ت) .
٧٥ـ المنجّد في اللغة ، كراع الهنائي ، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر وضاحي عبدالقادر ، القاهرة ١٩٦٧ .